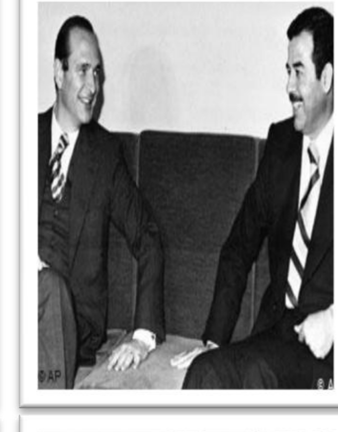
الدكتور أميـــر إسكندر

صدّام حسين

ومتغيّرات لعبة الأمم















الطليعة

منشورات 1987 الطليعـة

صدّام حسين ومتغيرات لعبة الأمم

الدكتور أميـــر إسكندر

-1- التوازنات الدولية بين لحظتين

الفكر الفلسفي يميل بطبيعته الى ان يكون كليا والذين يملكون او يتبنون نظريات فلسفية اي ذلك النسق من الافكار والمفهيم والتصورات المتكاملة حول الحياة والمجتمع والانسان لابد لتفكيرهم وسلوكهم ان يمثلا معا وحدة كلية ولذلك فان الانسجام والتناسق بين فكر صدام حسين وتطبيقاته داخل المجتمع العراقي سوف نلحظهما ايضا على مستوى السياسة الخارجية للعراق مع دول العالم ان ايديولوجية تكتسب من اتساقها الداخلي وانسجاما مع تطبيقاتها العملية وجدتها وتكاملها وشمولها واستقلالها الذاتي.

واذا كانت السمات النظرية العامة لهذه الايديولوجية في تطبيقاتها الداخلية – كما حاولنا ان نؤكدها – هي الخصوصية الوطنية والقومية المتفاعلة مع الاخرين دون ان تفقد هويتها والتوازن الذي لايقوم على اساس حسابات ميكانيكية ثابته بل على محصلة الجدل الحي بين الحاضر والمستقبل والبحث عن صيغ جديدة بشكل دائم لامن اجل الجدة لذاتها او في حد ذاتها وانما من اجل تخطي عقبات وصعوبات موضوعية لاتسمح بتخطيها الصيغ والاساليب التقليدية فاننا سوف نلمس هذه السمات العامة مجسدة في تطبيقاتها الخارجية ايضا.

فما هي الصورة التحليلية التي يقدمها لصراعات القوى في عالم اليوم؟ ومن اي زاوية ينطلق في تحليله؟ واية حسابات يبني عليها حركة العراق في علاقاتها المتشابكة مع حركة العالم ؟ وما هي التطبيقات العملية لهذه التحليلات والحسابات في المواقف المختلفة ازاء دول العالم؟

ينبغي القول قبل الدخول في محاولة الاجابة على هذه الاسئلة ان اللحظة التاريخية التي ظهر فيها صدام حسين على المسرح الدولي توشك ان تكون مختلفة تماما عن اللحظة التي سبقتها في نفس الوقت التي هي حبلى فيه باحتمالات مرجحة لتغيرها هي ذاتها بل وأبما لمكن القول بتعبير ادق ان لحظة صدام حسين هي لحظة مخاض جديد بصورة جديدة للعالم وهي مثل كل مخاض لاتنطوي بداخلها على عوامل القلق وعدم الاستقرار فحسب وانما على اوجاع المخاض الطبيعية والامة ايضا.

عندما ظهر جمال عبد الناصر في عام 1952 على سبيل المثال من خلال الثورة المصرية على مسرح السياسة الدولية كان العالم قد انتهى لتوه من اثار الحرب العالمية الثانية وتحددت معالمه الدولية بشكل فيه غير قليل من الوضوح كما بدت ليس فقط في انقسامه الى معسكرين محددين وانما ايضا في مناخ الحرب الباردة التي كانت سائدة بينهما ان هذه الحقيقة وحدها تلقي ضوءا مهما على طبيعة السوك الدولي الذي تبناه عبد الناصر على الاقل في المرحلة الاولى من ثورته اي في المرحلة التي كانت تجري فيها من خلال التطبيق العملي اختارتها وفي ضوء هذه الحقيقة يمكننا ان نفسر مهارته التي بدت في ضربة على اوتارالتناقض بين العملاقين الدوليين وان نفهم لماذا كان بوسعه – في تلك الفترة- ان يقطف ثمارا جيدة من الضرب على ذلك التناقض



الذي اتاح له فرصة كبيرة للمناورة وكسب اقصى مايستطيع ان يكسبه فعندما ترفض امريكا مد مصر بالسلاح كان بوسعه ان يحصل عليه من احدى دول المعسكر الاشتراكي وعندما يسحب (دالاس) عرض تمويل السد العالي كان بوسعه ان يحل الاتحاد السوفيتي مكان الولايات المتحدة وعندما كان الغرب يتقاعس ويتردد ويحجم عن تلبية مطامحه في التصنيع والتنمية كان الشرق يسارع الى تقديم القروض والمساعدات المادية والفنية عن بعد نظر او عن طيب خاطر.

وفي تلك اللحظة ايضا كانت اوربا ماتزال ضعيفة اقتصاديا وسياسيا ورغم ذلك كانت ماتزال تتمسك بمبادئها الاستعمارية القديمة التي تحد من قدرتها على التعامل الحر مع المستقلين الجدد وكان النفوذ الامريكي يطبع سياستها الخارجية بشكل سافر وفج طامعا في ان يرث تركة الامبراطوريتين المتهالكتين انجلترا وفرنسا ومنطلقا في ذلك من اسس نظرية ومادية كانت تحكم حركته الخارجية لا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فقط وانما في اثنائها ايضا فعندما كان العالم غارقا في حمامات الدم نشر المفكر الاستراتيجي الاميركي ٥ نيكولاس سبيكمان) كتابه الشهير الاستراتيجية الامريكية في السياسة الدولية الذي اصبح فيما بعد اشبه بانجيل ملهم لقادة ومنظري السياسة الخارجية الامريكية وكان يقول فيه : في المجتمع الدولي مسموح بكل اشكال الاجبار والقسر بما فيها حروب الدمار وهذا يهني ان الصراع من اجل القوة هو بذاته الصراع من اجل البقاء ولذلك فان تحسين مراكز القوة لابد وان يصبح الهدف الاول للسياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة وكل ماعدا ذلك ثانوي وياتي في المرتبة الثانية...ذلك لانه في اللحظة الاخيرة تستطيع القوة وحدها ان تنجز اهداف السياسة الخارجية ان القوة تعني البقاء وامكانية ان نفرض ارادتنا على الاخرين وان نملي على اولئك الذين لاقوة لهم وان ننتزع الامتيازات من اولئك الذين هم اقل قوة من قوتنا...

وفي تلك اللحظة ايضا كان المعسكر الاشتراكي نفسه واحدا وموحدا وكان اكثر من ثمانمائة مليون من البشر قد انضموا اليه في عام 1949 حينما انتصرت ثورة ماو بفلاحيها على الامبرياليين والرجعيين ولم يكن ثمة منحرف او مارق يومها سوى جوزيف بروز تيتو وحده وكانت المظلة النووية السوفيتية التي بدأت ترتفع تمثل الحماية لهذا المعسكر الكبير الممتد من اطراف اسيا حتى حدود اوربا الوسطى وكانت العلاقات بين اطراف هذا المعسكر توصف عادة بانها (صوانية) نسبة الى حجر الصوان الذي لاتستطيع ان تدكه ولا حتى القنابل المدمرة.

وفي تلك اللحظة كذلك كان العالم الثالث قد بدأ يولد في افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية وكان يبحث عن الخلاص من عقود السنين الطويلة التي عاشها في ظل الاستعمار والتخلف بعيدا عن التبعية الجديدة باشكال مراوغة للامبريالية العالمية ولم تكن (باندونج) قد اثمرت بعد حيادها الايجابي وعدم الانحياز ولذلك بقي ذلك العالم الذي ولد من مخاض عسير موجها في كل لحظة بالانحياز الى احد الجانبين وقليلون من قادته – حينذاك – هم الذين استطاعوا ان يسيروا بمهارة على الحبل المشدود بين هاويتين.

غير ان ذلك كله لم يدم طويلا فلم تكد الستينات يبدأ حتى لاحت متغيرات جديدة واوضاع جديدة انقسم المعسكر الاشتراكي على نفسه شطرته التناقضات في صفوف الاشتراكيين وظهر اكثر من تيتو واحد بداخله وبدأت اثار الحقائق التراجيدية التي اذاعها خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في عام 1956 تضغط بشدة مثل كابوس كئيب على قلوب تعلقت بالحلم في اكثر



من مكان وانتقلت القوات السوفيتية المسلحة الى شوارع بعض العواصم الاشتراكية لتضمن ولاء الشعوب لنظمها وولاء القادة لخط سياسي وايديولوجي ارتهن استمرارهم بالولاء له.

وفي الجانب الاخر كانت اوربا قد استردت انفاسها وظهرت فيها نوازع التمرد على النفوذ الامريكي المطلق التي يمكن ان تبلغ حد الاستقلالية الديغولية وسرى فيها ادراك جديد لمتغيرات العصر فبعد السقوط المدوي للامبراطوريتين العجوزتين في عام 1956 تحت وطأة القوتين العظميين عرفت ان الزمان قد مض وولى ذلك الذي كان بوسعها فيه ان تحتل بالجيوش اراضي الشعوب الاخرى فاستقلت الجزائر بعد مسيرة الشهادة والدم واستقلت ايضا شعوب اخرى كثيرة في افريقيا السوداء.

اما امريكا فقد ادركت هي ايضا ان حلم القضاء على الدول الاشتراكية الذي طالما راود المتعصبين من قادتها العسكريين وكبار الاجتكاريين من اصحاب السلطة الحقيقيين قد اصبح مستحيلا بعد ان باتت لبقوة في يدها لها نظير مماثل في يد الاخرين ولم يعد امامها ثمة مفر من قبول صيغة التعايش السلمي بين الانظمة المختلفة سياسيا واجتماعيا واصبح مصير العالم معلقا بتوازن رهيف مرعب بين كفتي الميزان النووي وازدادت مع الاستقطاب الحاد ازمة العالم الثالث حدة فهو وحده المطحون بين شقي الرحى ولم تكن حركة عدم الانحياز بحيادها الايجابي – التي ظهرت على المسرح الدولي – تقدم له فيه الواقع العملي اكثر من الغطاء الروحي لامانيه التي لم تكن توازنات العالم يومها تتيح تحقيقها.

وبدأ العالم الثالث نفسه يشهد الضربات توجه الى صميمه سقطت غانا مضرجة في دماء نكروما واختنق الكونغو مع انفاس لومومبا وعصفت الرياح المسمومة في مالي بموديبوكيتا ونفيت اندونيسيا (باندونج) الى حيث نفي سوكارنو وخيم الدخان المتصاعد من جسد نهرو المحترق على سماوات الهند وافاقها ودقت جحافل الامبريالية والصهيونية ابواب مصر الداخلية وكادت تقتلع خيام عبد الناصر وفي اماكن اخرى كثيرة من العالم كان ثمة حصان جامح يركبه راعي بقر من تكساس يطلق النار مزهوا في كل اتجاه ويمرح طليقا بغير حواجز.

-2- نظرية تعدد الاقطاب

غير ان الحياة لاتتوقف رغم كل شئ ودائما ابدا يولد الجديد على انقاض القديم من بين النقائض ان لحظة جديدة كانت بسبيلها الى الولادة وانه لمن حسن الحظ – كما كان يقول جارودي – ان الام المخاض منذ الاف السنين لم تصرف امهاتنا عن انجاب البنين.

ماهي طبيعة هذه اللحظة الجديدة؟ ماهي ملامحها التي تتشكل او معالمها التي تتكامل؟... سنترك صدام حسين يقدم لنا صورتها كما يلمسها بحسه الاستراتيجي :

(في تصورنا ان السنوات العشرين القادمة سوف تشهد مراكز قوى ومراكز استقطاب جديدة تؤثر في السياسة الدولية تأثيرا قياديا بالاضافة الى مركزي الاستقطاب الحاليين ففي تصورنا ان الصين سوف تكون مركزا كبيرا للتاثير والاستقطاب واوربا التي ستلعب فيها (فرنسا) دورا مهما ستصبح محورا متميزا عن امريكا في عملية التاثير والاستقطاب وسيكون لليابان وبخاصة اذا ماقررت ان تدخل مجال الصناعة في بعض الانواع الاستراتيجية من الاسلحة وعلى نطاق مهم ودولي دور مهم في عملية التكون في جنوب شرقي اسيا وسيكون الوطن العربي مركز حركة فاعلة للاستقطاب والتاثير ايضا..)



(ان العالم يتكون الان باعمدته الرئيسية في السياسة الدولية على نحو جديد...والحركة التي تجري باتجاه تكوين هذه الاعمدة اسرع من الحركة التي سبقتها في السنوات الماضية فهي تماثل وبشكل تقريبي حالة التكون السياسي التي حصلت اثناء وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وان اختلفت معها بالكثير من الصيغ وبانها اكثر حركية منها واشمل بكثير...).

(وحين يتكون العالم بعوامله الرئيسية المؤثرة في السياسة الدولية وحين تأخذ عملية التكون صيغتها النهائية للزمن المحدد فان العوامل الرئيسية التي رسمت اتجاهات التكون سوف تظل تؤثر في السياسة الدولية وحركتها واهدافها ووسائلها الى فترة زمنية طويلة...)

تلك هي ملامح الصورة التي يراها في الافق صدام حسين وهي التي تشكل الاساس النظري للمنطق الذي يحكمه في علاقات العراق الدولية والفرض الضمني او السافر لهذا المنطق هو ان عملية التكون في السياسة الدولية يشارك فيها الجميع اما كعوامل مساعدة او كعوامل رئيسية كل من موقعه وحسب ظروفه وقدرته في التاثير).فكيف تجري المشاركة اذن من جانب العراق؟ وكيف تتحدد كيفية التعامل مع الدول الخارجية لا على اساس الامر الواقع الراهن وانما على اساس المتصور بحيث توضع في ضوء هذا التصور الخطوط الاساسية للسياسة الخارجية مع كل مركز من مراكز التكون الموجود منها او التي ستوجد او تتشكل في المستقبل؟

ان صدام حسين لايعتبر رقعة الارض التي يقف عليها في العراق هي غاية الامل من النضال فهذه الرقعة من الارض هي جزء من ارض اوسع وارحب منها هي الوطن العربي كله ومن هنا فان شعب العراق ليس سوى جزء من شعبه الكبير الذي يبلغ تعداده الان اكثر من مئة وخمسين مليونا من البشر ان التجزئة حالة غير طبيعية ويجب ان تنتهي الى الوحدة.

غير ان صدام حسين يبدو في حديثه عن الوحدة هنا واقعيا وعمليا اكثر من اي وقت مضى ((هذه المرة يجب ان لا يسقط العمل الوحدوي من الحساب عاملين اساسيين هما : العامل الاقتصادي بحركته ودوره المؤثرين في هدف الوحدة والعامل الثاني هو التاثير المتبادل بين نضالنا القومي واتجاهات وحركة السياسة الدولية)) والمقصود بالعامل الاول هو خلق المصالح والمنافع المتبادلة بين مواطني الاقطار العربية المختلفة من خلال الصلات الاقتصادية بين هذه الاقطار ويصبح النضال الوحدوي على هذا الاساس نضالا من اجل المصالح الى جانب انه نضال من اجل المبادئ والمقصود بالعامل الثاني هو عدم اغفال المصاعب التي يمكن ان تواجه الوحدة على النطاق الدولي وفي نفس الوقت التنبيه الى امكانية التقاء استراتيجية بعض مراكز الاستقطاب الدولي مع استراتيجية النضال الوحدوي.

((وعلى هذا الاساس يجب ان لانعتمد على حركة الزمن المجرد كعرب وكعراقيين وضمن الامة وانما يجب ان يكون لنا دور في عملية التكون التي ستحصل وفي توجيهها بالاتجاه الذي يجعل قسما مهما من مراكز الاستقطاب في حساب استراتيجيتها العامة لاترى في النضال الوحدوي مايتعارض مع سياستها العامة واهدافها الكونية في المنطقة في مرحلة تحقق او في مرحلة انضاج الشروط الاساسية للعمل الوحدوي))

ان هذا التصور له مقتضياته في السلوك الدولي العملي وفي حجم وثقل ودرجة ومدى العلاقة بين العراق والدول الاخرى ومن هنا حرصنا على ان تكون علاقتنا مع فرنسا ذات صيغ متميزة لان فرنسا كما نقدر سوف تلعب دورا اساسيا وربما حاسما في وحدة اوربا..فاذا كانت فرنسا تمثل مركز الثقل



في علاقة العراق باوربا فان صدام حسين يقول ايضا علينا ان لا نسقط من حسابنا دور الصين في السياسة الدولية ذلك الدور الذي لم يبرز حتى الان بما يتناسب وحجم الصين لاعتبارات معروفة يقع في المقدمة منها تخلفها تقنيا بالقياس الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبعض دول اوربا الغربية واليابان...الا ان الحالة ستتغير كثيرا في السنوات القادمة وستلعب بعض دول اوربا وربما اليابان ضمن حدود محسوبة دورا مهما في عملية التطور التقني للصين..غير ان صدام حسين يولي اهتماما للدور الذي يمكن ان تلعبه اليابان وللموقع المؤثر الذي يمكن ان تحتله – في عملية التكون للاقطاب الجديدة – في جنوب شرق اسيا والذي سوف يزداد تاثيره كلما اقتربت اليابان من القناعة بدخول باب تصنيع اسلحة استراتيجية معينة..سوف تكون قادرة خلال سنوات قليلة على ان تصل الى مستوى عال ومتطور من القدرة على التسليح سواء في المجال الالكتروني او في مجال استخدام الذرة...ولكن كيف يمكن لليابان ان تلعب هذا الدور في ميدان صناعة الاسلحة في ظل القبضة الامريكية على توجهاتها المحتملة ازاء هذا الميدان بعد اندحارها في الحرب العالمية الثانية؟ صدام حسين يقدم تصورا مختلفا : (ان احد العوامل الاساسية التي ستقود الى احتمال توجه اليابان الى التسلح وعلى نطاق واسع هو تطور حاجتها الى تامين خطوط مواصلاتها باعتبارها تستورد كل مستلزمات الصناعة من المواد الاولية والطاقة بالاضافة الى التطورات والاعتبارات الاخرى في السياسة الدولية ان عملية التكون في السياسة الدولية بما في ذلك مايحصل في جنوب شرقي اسيا وظهور الصين كقوة ذات ثقل اضافي عدا عن وجود تاثيرات السوفييت في تلك المنطقة تجعل من الممكن مع قدر من المرونة والمناورة ومن اكثر من جهة من ضمنها اليابان نفسها ان تصبح التاثيرات الامريكية والضغط الامريكي على اليابان اقل وطأة في حساب السنوات القريبة القادمة...

اذن فعند صدام حسين ان حجم العلاقة الدولية بين العراق ودولة اخرى وثقلها ومداها يرتبط بقضيتين : المصالح المشتركة و مستوى واتجاه التقاء او تفاعل الاستراتيجيات انطلاقا من تصور مستقبل العراق من جانب بحركته الذاتية ضمن المجتمع الدولي والمنطقة العربية وتصور مستقبل البلد او البلدان الاخرى التي تشكل الطرف الثاني في العلاقة وحركتها وتاثيرها ضمن المجتمع الدولي من جانب اخر وعلى هذا الاساس فانه اذا كان يطالب بالعلاقات الطيبة مع دول العالم اجمع فانه يلح على محاولة التأثير على مراكز الاستقطار الجديد بل وعلى الدول التي سوف تلعب في هذه المراكز دورا متميزا بشكل خاص فالتعامل مع فرنسا يختلف عن التعامل مع المانيا الغربية واجلترا وايطاليا على سبيل المثال والتعامل مع الاتحاد السوفيتي يختلف عن التعامل مع بولونيا او المجر او بلغاريا كمثال اخر.

-3- اوروبا والقبضة الامريكية

ولكن الى اي حد يمكن لاوربا ان تخرج من القصة الامريكية؟ ان الاجابة على هذا السؤال تقتضي التعرف على المبررات القوية لهذا القبضة الامريكية على اوربا ان صدام حسين يرى ان المبررات القوية للقبضة الامريكية الان هي مبررات سياسية في تاثيرها على الاتجاهات الرئيسية للسياسة الاوربية والشكل الاساس لها هو الصراع السوفيتي – الامريكي في العالم والمظلتان المتقابلتان حيث تدخل اوربا الغربية تحت جناح المظلة الامريكية لاسباب معلومة وبالاضافة الى ذلك فان لاوربا او لقسم مهم من دولتها مبرراتها الاقتصادية الخاصة بها في علاقتها مع امريكا ومنها العون الامريكي لبعض دولها بالاضافة الى وجود الاخطبوط الامريكي بصيغة شركات رؤوس اموال واستثمارات واسعة في دول اوربا الغربية.



للقضية اذن وجهان الاول سياسي والاخر اقتصادي...ان مايتوجب ان نعيره اهتماما خاصا في حساباتنا السياسية مسألة الامن الاوربي وخشية اوربا الغربية من التهديد السوفيتي ودور ذلك في التحالف الامريكي – الاوربي وانعكاسه على قوة التاثير الامريكي في السياسة الدولية..ذلك ان اوربا رغم ميزان الرعب النووي الذي يحكم العلاقة بين القوتين العظمتين لاتخش الاسلحة الذرية في الوقت الحاضر بقدر ما تخش الحرب الخاصة بالاسلحة التقليدية لحلف وارسو وفي حساباتها ان قوات هذا الحلف قادرة على اجتياحها او القسم الاعظم منهابهذه الاسلحة التقليدية التي تتفوق كما وكيفما احيانا على اسلحة اوروبا التقليدية اذا ما حانت ساعة المجاهبة وفي تقدير صدام حسين ان موضوع الامن الاوربي تدخل فيه ارادتان كل منهما تنطلق من مبرراتها لتحققه وفق اتجاهات خاصة هما :

ارادة اوروبا الغربية من اجل الخلاص من شبح تهديد حلف وارسو ولاحراز قدر من التحرر باتجاه التكون بعيدا عن القبضة الامريكية وقدر اخر من الاستقرار والرغبة السوفيتية من اجل تحرير قواتها لتواجه الصين والالتزامات الدولية الاخرى..

واذا كانت تلك ملامح الوجه السياسي فان الوجه الاقتصادي يطرح عنصرا جديدا بالاضافة الى مساعدات امريكا لبعض الدول الاوروبية ونشاط الراسمال الامريكي نفسه داخل اوروبا الغربية هو عنصر : النفط وهذا العنصر الجديد بقدر مايمثل مركز ضغط امريكي على اوربا فانه يمثل ايضا – او يمكن ان يكون ممثلا – لمركز ضغط عربي لا من اجل تخفيف القبضة الامريكية على اوربا الغربية والسعي لتحريرها منها فحسب بل من اجل قضايانا العربية نفسها ووضع حلولها الصحيحة في موضع الارتباط الكامل مع المصالح الحقيقية لاوربا الغربية المستقلة عن القبضة الامريكية.

ان امريكا بعد الحرب العالمية الثانية ساهمت بشكل حاسم في طرد اوربا من مواقع بترولية مهمة واضعفت من تاثير سياستها المنفردة في منطقة الشرق الاوسط فطردتها من ايران والسعودية ودخلت مشاركة للدول الاوربية في مناطق اخرى وعلى نطاق اوسع فالبترول بالنسبة للسياسة الامريكية لم يعد صيغة من صيغ الرغبة بالاكتفاء الذاتي لتامين سلعة استراتيجية لحسابها ولم يعد صيغة من صيغ الانتفاع الاستغلالي فحسب وانما اصبح احدى المسائل الحاسمة في سياسة امريكا الكونية اذلك وبشكل خاص في تاثيره على علاقتها مع اوربا الغربية واليابان.

ان صدام حسين يتساءل بحق :

اين تكمن قوة امريكا؟ وماهو العامل الاساس في قوتها خارج ارضها؟ ثم يجيب :

(ان العامل الاساس هو في تحالف اوربا واليابان معها)...فاذا كانت الطاقة تمثل شريان الحياة الاقتصادية للمجتمع الصناعي الاوربي فان من يمتلك قدرة التاثير الجدي في الشرق الاوسط – المصدر الاول بالنسبة لاوربا واليابان – سوف يستطيع احكام قبضته عليهما).

ووضع القضية بهذه الصورة يطرح مسألتين :

اولهما : تحرير هذه الطاقة من قبضة النفوذ والاستغلال الامريكي وبالتالي تحرير اوربا واليابان على الاقل في حدود تاثير هذا العامل القوى على حياتهما واقتصادهما من سيطرتها ايضا.

ثانيهما :استثمار هذه الطاقة في حقل العلاقات الدولية وتوظيفها سياسيا بحيث تاتي بمردود ايجابي لصالح قضايانا العربية وفي مقدمتها قضية الصراع العربي – الصهيوني الراهن.



ان النفط الحر اي المؤمم لصالح اهداف الشعب العربي في الحرية والاستقلالية والتنمية الحقيقية الشاملة يباع وفق سياسة العراق ومصالحه الدولية وفي اطار استراتيجيته العربية والدولية بينما سوف لايكون للنفط الاخر نفط المشاركة في السعودية والكويت او في اماكن اخرى نفس القدرة على التاثير فبالاضافة الى ان لامريكا وبعض الدول الغربية الاخرى حصة الاسد فيه ولقد تمكنت – بعد تاميم النفط العراقي وارتفاع المد الشعبي المطالب بتاميم النفط العربي في كل مكان – ان تخفي شكل العلاقة الاستغلالية الامبريالية السافرة له خلف صيغ عقود شراء طويلة الامد تحقق عمليا الجانب الاكبر من اهداف الامتيازات القديمة وتجنب الدول الابريالية المفاجأت المضرةبمصالحها والمضادة لسياستها فانه في حساباتها السياسية يدخل كعنصر اساس في مسألة التحالف بين امريكا واوربا واليابان ويقوي من قبضتها عليهما ويدعم مواقع ومراكز التاثيرات الامريكية في السياسة الكونية بشكل عام ومن هنا لم يكن تاميم النفط العراقي تحررا من استغلال الشركات الاحتكارية وهيمنتها السياسية فحسب وانما كان ايضا تحريرا لجانب من الارادة الاوربية نفسها من سيطرة القبضة الامريكية عليها ومن تحكمها شبه المامل في سريان الدم داخل شرايين الحياة الاقتصادية بداخلها.

-4- معنى التوظيف السياسي للطاقة

ولكن مامعنى التوظيف السياسي للطاقة النفطية لصالح القضايا العربية عموما – والقضية الفلسطينية على راسها – فضلا عن القضايا الوطنية المتعلقة بالقطر العراقي وتطوره؟ وهل بوسع العرب ان يكونوا مؤثرين الى حد امكان المشاركة في صنع اتجاهات السياسية الدولية للقوى الكبرى في هذا العالم؟

لاحاجة بنا الى القول قبل الدخول في تفصيلات وجهة نظر صدام حسين الاستراتيجية في هذه المسألة الحيوية البالغة الاهمية من مسائل مستقبل الوطن العربي واتجاهات تطوره ان سيطرة العراق على ثرواته النفطية – وهو البمثل الذي ينبغي ان يستلهم من جانب بقيةالاقطار العربية النفطية – قد اتاح له القدرة الكاملة على تحرير ارادته تماما من اية ضغوط خارجية حيثما كان مصدرها فيما يتعلق باختياراته الخاصة لطرق تنمية اقتصاده ومجتمعه تبعا لظروفه الموضوعية ومقتضيات رؤيته الاستراتيجية الاجتماعية والسياسية بعيدا عن اي تاثير معوق او معطل لمراكز الاستقطاب التكنولوجية في عالمنا المعاصر ان هذه الحقيقة التي تنطوي على بعد عملي اكسبه التطبيق الناجح والذكي دلالاته القوية تتضمن ايضا بعدا نظريا لايقل اهمية ولا ينبغي تجاهله ذلك ان القدرة الاقتصادية التي اتاحها ارتفاع اسعار النفط في ظل سلطة ثورية وقيادة تتوجه بالمجتمع نحو افاق الاشتراكية تحت رقابة حزب جماهيري له ايديولوجيته القومية التقدمية قد وضعت حدا لتلك المقولة الرائجة في اوساط الاشتراكيين والتقدميين وهي ضرورة الارتباط العضوي بالمجموعة الاشتراكية العالمية في عمليات التصنيع والتنمية بشكل عام لتجنب مخاطر التبعية للدول الامبريالية وعودة الاستعمار الجديد ففضلا عن ان الدول الراسمالية الغربية المتطورة في ظل المنافسة الدولية الحادة بل وتحت ضغط ازمتها الاقتصادية الداخلية غير قادرة على احتكار او حجب انجازاتها التكنولوجية بشكل كامل عن الدول النامية عموما فان القدرة المباشرة على دفع ثمن هذه التجهيزات بدون شروط وبدون ضغوط وبدون عسر لاينقض مقولة التبعية فقط ولايتيح فرصا اكبر لاختيار الاصلح والاكثر تطورا فحسب وانما يجعل من هذه الاختيارات عنصرا في تعميق التناقضات بين الدول الراسمالية نفسها ويتيح الضغط عليها من اجل دعم ومساندة القضايا العربية ولعل



ذلك كله لايجد تعبيراته الواضحة في مواقف دول السوق الاوربية المشتركة بشكل عام وفرنسا بشكل خاص التي باتت اكثر ميلا واقترابا من التفهم السليم لتلك القضايا العربية وانما يجد انعكاسة ايضا في المواقف المرنة حتى من ناحية الشكل التي تتخذها الولايات المتحدة الامريكية نفسها ازاء بعض القضايا العربية احيانا.

ان صدام حسين يضع السؤال الجوهري في هذه المسألة على هذا النحو هل الغرب فعلا وعلى العموم بما في ذلك اوربا وامريكا وكذلك اليابان في مركز التقرير والسياسة لديهم لم يكونوا يفهمون قضية العرب من قبل وانهم قد فهموها الان؟ انا اجيبك على هذا السؤال بالنفي حيث انهم كانوا من قبل يفهمون مافهموه الان لكن وسائل جديدة قد توفرت الان لدى العرب للضغط على عصب تلك الدول وبالشكل الذي يجعلهم يعلنون عن فهم ماكانوا يرفضون او يتغاضون عن فهمه واعلانه فعندما تكون لدى العرب اذن قدرة اكبر على الضغط الا يصبح ممكنا ان يفهموا بشكل اكثر دقة ماكانوا يرفضون فهمه في السابق؟ نعم انهم سيفهمون وسياخذ التعبير عن الفهم في السياسات تاثيرا اكبروسياقات جديدة لصالح العرب.

وهذا يدخل بنا الى صميم المعنى الذي يقصده باستثمار طاقاتنا المتاحة بالفعل من اجل نصرة قضايانا انه يبدأ برفض تصورين خاطئين سادا – ولعلهما مازالا يسودان – المراكز الاساسية لصنع القرار العربي خارج العراق.

الاول هو التصور المنحرف للقضية الوطنية على انها اسيلرة التيارات الدولية في نهوضها او اخفاقها وكانها قضية قدرية بحيث تسلب منا الارادة في تكييف التيارات الدولية والتاثير فيها وتسلب منا الارادة في القدرة على الحركة.

والثاني هو التصور المنحرف الاخر الذي لايقيم وزنا للتيارات الدولية وموازين القوى الدولية ولا يضع لها قيمة في حساباته وهؤلاء الذين يتبنون هذا التصور يقولون اننا نستطيع بارادتنا الوطنية ان نقرر كل شئ ان نرسم اتجاهه وبدون ان تكون هناك حاجة لفهم التيارات الدولية واتجاهاتها وتاثيراتها.

ماهو الفهم الاكثر سلامة؟ انه الفهم الذي يضع في اعتباره دائما جدل الخاص والعام جدل القومي والعالمي فعندما تجد دولة كبرى مثل امريكا ان كل الدول في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية واوربا واستراليا واليابان حلفاء لها فانها تتصرف في سياستها الدولية بمنطق الاستخفاف بالقضية العربية بل والعداء ايضا وخصوصا حين يكون العرب عاجزين عن اداء دورهم بطريقة صحيحة في التاثير على السياسة الدولية او غير قادرين على استخدام امكاناتهم استخداما جيدا وذكيا ولكن عندما تكون مواقف هذه الدولة مختلفة معها فانها لابد وان تكيف سياستها مع المنظور الدولي الجديد.

ومن هنا يبدأ جانب من النقاش حول قضية الصراع العربي الصهيوني فنحن نرى ان السوفييت اجانب والامريكيين اجانب والفرنسيين اجاني مهما اختلفت مواقفهم واتجاهاتهم ومهما تكن صلتنا باي منهم او غيرهم سواء في اطار الصداقة او حتى في اطار التحالف فانه لايعبر عن قضيتنا بذات الاتجاه والفهم الذي نعبر فيه نحن عنها وفي الحالات والظروف الايجابية يعبر الاجنبي عن قضيتنا تحت مظلة مايسمى بلقاء الاستراتيجيات او لقاء المصالح وهكذا فحين يجد السوفييت ان العرب صامدون وان لديهم القدرة على الاستمرار في الحرب فانهم سيدعمون العرب وسيقدمون لهم السلاح ولكنهم حين يرون العرب يسقطون دائما من اول ضربة فلا يجب ان تتصور انهم سيراهنون على صيغ قد تلحق ضررا بمصالحهم من اجل العرب ان من ينهار من مجرد هبوب رياح بسيطة او من بدايات عواصف لايجب



ان يتوقع ظهور اجنبي يقدم له طوق النجاة متحملا خسائر لاتعوض نتيجة هذا الموقف.

وعلى اساس هذا الفهم ينطلق صدام حسين لوضع قضية الوفاق الدولي وضعا صحيحا في علاقتها بالقضية العربية ان التعريف الذي قدمه للوفاق بوصفه حالة سياسية في تكييف الطموحات والاستراتيجيات المعبرة عنها للاطراف المعنية بالتقابل..لايعني انهاء الصراع بين السوفييت والامريكان ولكنه يعني فهما خاصا لعوامل القدرة والتاثير فالمساحة الاستراتيجية التي تحتلها اية دولة من الدولتين الظميين تتسع في التاثير المضاد على الاخرى كلما كسبت اصدقاء جددا في العالم اي ان احد العوامل المؤثرة هو كسب اصدقاء اضافيين للتفوق في قوى وصيغ الصراع بالنيابة او تقوية الاحتياط لاغراض اعتبارات الطوارئ المحددة اة الشاملة...

وكل دولة منهما تعتبر كسب المساحة الجديدة لصالح الاخرى مقدمة لوضعها تحت قدرتها على التاثير اي ان السوفييت حين يضغطون في مكان ما في الشرق الاوسط – وينتزعون – مساحة منه ليضعوها خارج سيطرة الولايات المتحدة او تاثيرتها ضمن هذا المفهوم حتى وان كانت هذه المساحة من الارض هي من الناحية العلمية الواقعية ليست تابعة للسوفييت فانهم يعتبرون الامر كسبا لهم بمجرد اخراجها خارج اطار تاثيرات سياسة الولايات المتحدة وكذلك يتصور الامريكان بان مثل هذه النتيجة ماهي الا مرحلة اولى في العمل السياسي..اما المرحلة الثانية فان السوفيت سيحاولون ان يجعلوا هذه الارض تقع تحت قدرتهم على التاثير وليس ثمة سبيل غير ذلك...فكيف يكون الامر حين ياتي السوفييت الى منطقة الشرق الاوسط وهي منطقة حساسة ومعروفة بقيمتها الاستراتيجية كما يتصور الامريكان؟... ولاشك اننا نتذكر هنا تصور صدام حسين لمفهوم امريكا عن منطقة الشرق الاوسط ومغزى تقدبرها لخطورتها الاستراتيجية..لا..لان هذه المنطقة حساسة في الحسابات الاستراتيجية العسكرية فحسب ولا لانها تضم دولا بترولية فقط وانما لعامل اخر اساس يتفوق على العاملين السابقين وهو ان من يمتلك التاثير الجدي في الشرق الاوسط سيؤثر على اوربا واليابان.

وبناء على هذا الفهم العلمي والواقعي والعملي في نفس الوقت لطبيعة الصراع الدولي حول منطقتنا ومعنى التوافق الدولي بين القوتين العظميين لا يتعامل عراق صدام حسين مع البعض كصديق بصيغة لقاء الاستراتيجيات او المصالح ومع البعض الاخر كخصم او كعدو بصيغة اختلاف الاستراتيجيات او المصالح التي تبنى عليها السياسات فحسب وانما هو يضع ايضا مسألة استخدام العرب لامكاناتهم في التاثير على مجريات السياسة الدولية موضع التساؤل فنحن نعتقد ان هناك عوامل معينة لم تستخدم كما يجب كيما تقوى قدرات الامة العربية على مجابهة الخصم ولكي تزيد من وزنها في الميزان الدولي وتساهم من موقع اقوى في تغيير اتجاهات التيارات الدولية سواء كانت امريكية او سوفيتية او اوربية او اي تيار اخر.

5-استراتيجية التحرير وسياسة المراحل

ان صدام حسين يلح على امكان استخدام العوامل المتحة التي تزيد من القدرات الذاتية للعرب الوطنية والقومية الحاحا شديدا عن طريق الضغط بحجم ووزن اكبر وعلى مساحة اوسع في السياسة الدولية وروافدها لمجابهة العدو ولصالح العمل التحرري..هذه النقطة الجوهرية هي التي يعتبرها العرب الواقعيون بحسب تعبيرهم والمتقاعسون والمترددون والوسطيون والمستعدون لتقديم التنازلات بحسب تعبيرات اخرى ركيزتهم في وصف عراق صدام حسين بالتطرف ويلصقون به القول بضرورة



تحطيم الكيان الصهيوني الان ورفض كل حلول ممرحلة على الطريق الطويل هل يريد صدام حسين تحطيم الكيان الصهيوني الان كما يقولون؟ سنتركه هو بنفسه يعبر عن وجهة نظره :

يقول عنا بعض الاخوان هكذا اضن انكم لاتفهمون السياسة الدولية لانكم تتصورون ان بمقدور الغرب الان ان يحطم الكيان الصهيوني بينما هم لايمتلكون هذه القدرة وهذا كلام صحيح ونكون فعلا لانفهم السياسة الدولية اذا كنا نطرح تحطيم الكيان الصهيوني في هذه المرحلة غير ان الحقيقة هي غير ذلك فنحن لانقول مثل هذا الكلام ولا ننتهج مثل هذه السياسة الان نحن لانقول ولا نتوهم بان العرب قادرون على تحطيم الكيان الصهيوني الان ولانتوهم بان العالم سيسمح بتحطيم الكيان الصهيوني في هذه المرحلة لكننا نقول ايها الاخوة العرب تعالوا نفتش معا وننظر هل استخدمنا كل العوامل المتاحة التي تزيد من قدراتنا الذاتية القومية والوطنية على طريق الضغط بحجم ووزن اكبر وعلى مساحة اوسع في السياسة الدولية وروافدها لصالح العمل التحرري لمجابهة العدو الصهيوني؟ هذا هو الخلاف الجوهري بيننا وبينهم لكننا نفاجأ وكاننا نحن المزايدون والاخرون اكثر واقعية في فهم الامور.

ان صدام حسين لايرفض سياسة المراحل بشرط ان تكون كل مرحلة مرتبطة بغيرها والجميع لاينفصل عن الهدف النهائي ان حقيقة اليوم ليست نهاية المطاف فالحقائق في السياسة الدولية نسبية بضوء العوامل الفاعلة في اتجاهاتها وحركتها وان قدرة الامة العربية تؤدي دورا حاسما في تطوير الحقائق التي تتعلق بنضالها.

ولكن ذلك يتطلب التعبئة للجماهير على ضوء الهدف الاستراتيجي المركزي في الوقت الذي يمكن فيه للعرب ان يستغلوا كل الفرص لتحقيق الهدف او الاهداف المرحلية

ان صدام حسين يقول بوضوح : اننا لسنا ضد النشاط السياسي ولكن المرونة اذا لم تكن مرتبطة بهدف استراتيجي مركزي وبالمستلزمات الجدية لتحقيق وثبة الى الامام في فرصة لاحقة تتحول الى غطاء للردة...اما عندما تكون المرونه جزءا من العملية الثورية الفاعلة باتجاه الهدف المركزي فانها تكون خطوة الى الامام...ام كل جزء نتمكن من تحريره من فلسطين لايجوز ان يكون هدفا نهائيا لنضالنا ولايجوز ان نؤخره اذا ما توفرت فرص وعموامل النصر التي تحققه ان الامة العربية ستجد امامها باستمرار طاقات اضافية تتعامل بها لخلق عوامل جديدة قوميا ودوليا من اجل التوجه الى امام...

الى اين؟ الى القاء اليهود في البحر كما تقول الدعايات المضادة والمضللة؟ كلا

ان الراي العام العالمي يجب ان يفهم ان الصراع ليس صراعا دينيا بين العرب والكيان الصهيوني كما يحاول الصهاينة ان يصوروا الامر او كما اوحت به بعض السياسات العربية واجهزة اعلامها من قبل ولاجل ان تفهم واقعية نظرتنا العربية المدى والتي تتعلق بالدعوة الى دولة فلسطين التي تتعايش فيها الاديان والمواطنون معا مهما تكن دياناتهم على ارض مشتركة وسيادة واحدة وحقوق متساوية بهوية فلسطينية..لكي تفهم نظرتنا هذه لابد ان نبرهن علينا بخطوات عملية مقنعة ومنها ان نفتح فرصة العودة لليهود العراقيين الى العراق وطنهم الاصلي وان يعود اليهودي السوري الى سوريا وكذلك اليهود المغاربة الى المغرب مثلما يعود اليهود الامريكان والفرنساويون والالمان الى بلدانهم الاصلية وعند ذلك فان دعوتنا الى تكوين دولة فلسطين الديمقراطية من سكان فلسطينيين الاصليين ستجد من يفهمها في العالم..



غير ان الذي جرى في كامب دايفيد يمثل بالتاكيد نكسة للسياسة العربية ونتيجة منطقية لما يمكن ان يقود اليه مايسمى بطريق الواقعية والاعتدال وفهم اوضاع العالم المعاصر وموازين القوى الدولية وكل ماقاله صدام حسين قبل الوصول الى هذه الهوة العميقة كان بمثابة تحذير من مغبة الوقوع فيها اذا سلك طريقا غير طريق التمسك بالهدف الاستراتيجي الاصيل دون اغفال لاية نقلة ايجابية على مائدة الصراع.

ولكن حتى في لحظات السقوط اليائس لرئيس النظام المصري في عمق الهاوية ووقوف الاخرين حيارى مصدومين كان صدام حسين يقظا وواعيا مندفعا بجرأة الى جذب الاخرين من حافة الهاوية وشدهم من جديد الى موقف موحد يحفظ الحد الادنى من تضامنهم وتماسكهم بحيث يتاح لهم مرة اخرى مواصلة الطريق اننا نسمعه يقول لفيديل كاسترو ما يعبر عن المغزى النضالي لاسراع العراق بعقد مؤتمر قمة بغداد.

لقد خان السادات القضية العربية عندما اقدم على زيارة القدس وعندما وقع مع الامريكان والصهاينة على اتفاقيات كامب ديفيد لقد كان اثر هذا الموقف خطيرا واكثر خطورة مما يمكن ان يتصوره احد من خارج المنطقة كان الامبرياليون الامريكان يحاولون ارغام الشعب العربي على الاستسلام فبعد ان استطاعوا السيطرة على بعض الحكومات حاولوا تركيز قناعة لدى الشعب العربي انه لن يستطيع تحقيق اي هدف مهم او ان يوقعوا هذا الشعب بالحيرة تجاه صراعه مع الصهيونية ثم خططوا بعد ذلك لاستثمار هذا العجز وهذه الحيرة ضد نضال الشعب العربي من اجل البناء الاجتماعي والتحرر من التبعية.

ولقد وصلت الحال الى شئ من هذا وعندما وقع السادات الاتفاقيات عمت الحيرة حتى القيادات كان لابد والحالة هذه اخراج الامة من المازق ومن الوضع النفسي الذي لابد وان تكون له نتائج عملية على المستوى السياسي فعقدت القيادة سلسلة من الاجتماعات وكانت النقطة الاساسية قناعتنا في ان مواجهة هذا الظرف لايمكن بصيغ تقليدية متداولة لابد من صيغ جديدة لابد من اسلوب يهز الوجدان العربي ويضعه في مستوى ايجابي متقدم لقد كان الوضع النفسي من المسائل المركزية في التغيير.

واتخذنا على هذا الاساس ثلاثة قرارات مركزية اساسية : هي اعتبار الساحة العراقية مكملة للساحة السورية ووضع الجيش العراقي في هذه الساحة في الصراع كي نرفع الوضع النفسي لحكام وشعب سوريا والوضع النفسي العربي عموما واتخذنا كذلك قرارا بالاستعداد لبناء علاقات جديدة مع سوريا تأخذ بنظر الاعتبار الخطر المشترك اما قرارنا الثالث فهو الدعوة لعقد مؤتمر القمة في بغداد بغية الحصول على اجماع عربي برفض نتائج كامب ديفيد وتحقيق موقف عربي موحد لقد تحركنا بسرعة قبل ان يفيق الامريكان من المفاجأت...وانعقد مؤتمر القمة في بغداد وحصل الاجماع العربي على رفض اتفاقيات كامب ديفيد وعدم التعامل معها او باثارها وتكون صندوق لدعم الجبهات..ونصت القرارات على مقاطعة الحكومة المصرية اقتصاديا وسياسيا..كذلك اتفق على نقل الجامعة العربية من مصر.

لقد كانت هذه التدابير فعالة ومهمة وكانت الرد المباشر على محاولات كارتر ان يصور ان مفتاح الوطن العربي بيد السادات ان هذا بحد ذاته يشكل انتصارا مهما ولابد الان من متابعة تنفيذ القرارات..

ولقد كانت قمة بغداد تمتاز بصفةبارزة – على حد تعبيره – هي ان قراراتها كانت عربية لاهي سوفيتية ولاهي غربية..ولكن كيف يتصور الامر لو اصر الامريكيون على دفع



كامب ديفيد مع السادات الى امام وحاولوا ان يجروا بعض الاطراف العربية اليها عن طريق التخويف؟

اننا سنسمع صدام حسين يقول لفرانيوا دينيو وزير التجارة الخارجية الفرنسي في لقاءه معه في شهر فبراير – شباط عام 1979.

انهم سوف يقسمون العرب فتصبح هناك حالتان الاولى حالة امريكية – عربية والثانية لايمكن الا ان تكون حالة سوفيتية – عربية واذا ماحدث ذلك فحينئذ سوف يحدث التسلل الى المنطقة..الذي لانريده ومن المؤكد انكم لاتريدونه لانهم ستكونون الخاسرين رقم واحد كما نكون نحن الخاسرين رقم واحد مطلوب من فرنسا واوربا ان توضع هذا للامريكان.

غير ان قمة بغداد التي كانت قراراتها عربية سوف تجد التعبير المتكامل عن روحها والصياغة الاشمل لمنطقها في اعلان صدام حسين الذي اذاعه على الامة العربية في 8 فبراير – شباط عام 1980 وهو الاعلان الذي اشتعر بعد باسم:

(الميثاق القومي)

اولا... رفض تواجد الجيوش والقوات العسكرية واية قوات وقواعد اجنبية في الوطن العربي او تسهيل تواجدها باية صيغة من الصيغ وتحت اية ذريعة او غطاء ولاي سبب من الاسباب وعزل اي نظام عربي لايلتزم بهذا المبدأ ومقاطعته سياسيا واقتصاديا ومقاومة سياسته بكل الوسائل المتحة.

ثانيا... تحريم اللجوء الى استخدام القوات المسلحة من قبل اية دولة عربية ضد اية دولة عربية اخرى وفض اية نزاعات يمكن ان تنشأ بين الدول العربية بالوسائل السلمية وفي ظل مبادئ العمل القومي المشترك والمصلحة العربية العليا.

ثالثا... ويطبق المبدأ الوارد في البند الثاني على علاقات الامة العربية ةاقطارها مع الامم والدول المجاورة للوطن العربي فلا يجوز اللجوء الى استخدام القوات المسلحة في المنازعات مع هذه الدول الا في حالة الدفاع عن السيادة والدفاع عن النفس ضد التهديدات التي تمس امن الاقطار العربية ومصالحها الجوهرية.

رابعا... تضامن الاقطار العربية جميعا ضد اي عدوان او انتهاك يقوم به اي طرف اجنبي للسيادة الاقليمية لاي قطر عربي او دخوله في حالة حرب فعلية معه وقيام هذه الاقطار بالتصدي المشترك لذلك العدوان او الانتهاك واحباطه بكل الوسائل والطرق بما في ذلك العمل العسكري واجراءات المقاطعه الجماعية السياسية والاقتصادية وفي كافة الميادين الاخرى التي تقتضيها الضرورة والمصلحة القومية.

خامسا... تاكيد التزام الاقطار العربية بالقوانين والاعراف الدولية فيما يتعلق باستخدام المياه والاجواء والاقاليم من قبل اية دولة ليست في حالة حرب مع اي قطر من الاقطار العربية.

سادسا... ابتعاد الاقطار العربية عن دائرة الصراعات او الحروب الدولية والتزامها الحياد التام وعدم الانحياز ازاء اي طرف من اطراف الصراع او الحرب مالم ينتهك احد اطراف الصراع السيادة الاقليمية العربية والحقوق الثابتة للاقطار العربية التي تكفلها القوانين والاعراف الدولية وامتناع الاقطار العربية عن اشتراك قواتها العسكرية – كلا او جزءا – في الحروب والمنازعات العسكرية في المنطقة وخارجها نيابة عن اية دولة او جهة اجنبية.



سابعا... التزام الاقطار العربية باقامة علاقات اقتصادية متطورة وبناءة فيما بينها بما يوفر ويعزز الارضية المشتركة للبناء الاقتصادي العربي المتطور والوحدة العربية وتحرص الاقطار العربية على الابتعاد عن اي تصرف يمكن ان يلحق الاذى بهذه العلاقات او يعطل استمرارها وتطورها بغض النظر عن تباين الانظمة العربية والخلافات السياسية الهامشية التي تحدث بينها مادامت اطراف العلاقة ملتزمة بمبادئ هذا الاعلان.

وتلتزم الاقطار العربية بمبدأ التكافل الاقتصادي القومي وتتعهد الاقطار العربية المقتدرة اقتصاديا بتقديم كل انواع المساعدات الاقتصادية للاقطار العربية بالشكل الذي يصونها من احتمالات الاتكال على القوى الاجنبية بما يمس استقلالها وارادتها القومية.

ثامنا... ان العراق اذ يضع مبادئ هذا الاعلان يؤكد استعداده للالتزام به تجاه كل قطر عربي واي طرف يلتزم به وهو مستعد لمناقشة مع الاشقاء العرب زسماع ملاحظاتهم حوله بما يقوي من فاعلية مبادئه ويعمق مضامينه.

كما يؤكد العراق ان هذا الاعلان لايشكل بديلا عن ميثاق الجامعة العربية وعن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي القائمة بين دول الجامعة بل يعتبره تعزيزا للميثاق والمعاهدة وتطويرا لهما بما يتناسب مع الظروف الدولية المستجدة والمخاطر التي تهدد الامة العربية والمسؤوليات القومية التي تترتب عليها في الظروف الراهنة وفي المستقبل

ايها الشعب العراقي العظيم...

ياجماهير الامة العربية المجيدة....

ان العراق اذ يقدم هذا الاعلان ينطلق من مسؤوليته القومية التي تعلو على كل مصلحة ذاتية او قطرية واننا اذ نتوجه بهذا الاعلان الى الحكومات العربية باعتبارها الجهة المسؤلة عن اقراره والالتزام به نؤمن اعمق الايمان بان مبادئ هذا الاعلان القومي لايمكن ان تتحقق وتصبح ميثاقا للعلاقات العربية الا من خلال نضال الجماهير العربية ومساندتها له لانه يضمن مصالحها الاساسية ويتجاوب مع مطامحها القومية في الحرية والاستقلال ويسهل الطريق امام الوحدة العربية.

-6- الخليج والصحراء الغربية

لايصدر صدام حسين في هذه المواقف العملية كلها الا من ايمانه الراسخ بافاق تطور الامة العربية وتعاظم امكانياتها مع حركة النضال العربي ومن قناعته الثابتة باهمية الاستقلال الايديولوجي ومغزاه العميق بالنسبة لتقدم الامة ونمو قدراتها على السواء ومن ارضية هذا الاستقلال المتمسك بخصوصية وطنه القومية وبانفتاحه في نفس الوقت على كل التيارات الدولية والانسانية تنبع تصرفاته وعلاقاته مع الدول جميعا بصرف النظر عن نظامها او تعبيراتها الايديولوجية عن مصالحها القومية في السلوك السياسي ان عينه دائما على الوطن الكبير وهو واقف برسوخ على ارض العراق اصدقاؤه هم اصدقاء هذا الوطن واعداؤه هم اعداء هذا الوطن وكل من يحاول مسخ هويته العربية هو بالنسبة اليه خصم لدود.

لقد قال لفرنسوا دينيو في معرض الحديث عن احداث ايران التي تثير الفوضى في المنطقة كلها واحتمالات التدخل في الخليج من جانب الامريكين والقوات المصرية التي تاتمر بامر السادات :



نحن نراقب الامور ولكن ينبغي ان لايتورط الامريكان بحماقة وعلى سبيل المثال ان يسهلوا للسادات ولغروره ارسال قوات لعمان لان هذا يشكل استفزازا للمنطقة واول الذين يستفزهم نحن واول من يقاومه نحن ان ذلك سيسهل دخول قوات اخرى للمنطقة فيما يتعلق بدول الخليج مامن خطر عليهم انتم تعرفون انه ليس لدينا اطماع توسعية ولو كان لدينا لكان بامكاننا ان نقوم بتحقيقها الان ولكن ليس لدينا ذلك اي قوة اجنبية او محلية لاتدخل الى منطقة الخليج بدون ان تتفهم رضانا فما هو الخطر على قابوس حتى يجلب قوة تستفز المنطقة؟

لاينطبق هذا الموقف العربي الصميمي المستقل على الخليج وحده انه ينطبق على كل اجزاء الوطن العربي لقد قال للمبعوث الشخصي للرئيس الجزائري الى العراق.محمد صالح يحياوي في لقائه معه في شهر اغسطس – اب عام 1979 فيما يخص قضية الصراع بين الجزائر والمغرب وموريتانيا حول الصحراء الغربية :

اننا حريصون ان نبدي وجهة نظرنا لاشقائنا العرب بدون ان يتاثر ذلك بالحسابات الخاصة وكنا دائما نوضح للمغرب وموريتانيا وبعد ذلك للجزائر ان موقفنا يجب الا يفهم انه مع المغرب وليس مع الجزائر وكنا نقول لسفرائهم بوضوح ان الجزائر اقرب لنا منكم للجزائر خصوصية عندنا بالرغم انكم جميعا عرب لذلك ان الذي يهمنا بالدرجة الاولى هو الا يظهر مايسئ لكم اي موقف تقدرونه وترون انه يخدمكم نحن نباركه اي موقف تعتقدون انه يخدمكم ويخدم الامة العربية نحن معه طالما اننا نشترك بالمنهج القومي فالقريب من القضية لابد ان يكون ادق في التقدير الارضية مشتركة لذلك فاننا نقول راينا وبعد ذلك فالشقيق الاقرب للقضية هو صاحب الراي اذن مايهمنا بالدرجة الاولى الا يجعل الاستعماريون من قضية الصحراء مدخلا لاتعابكم اي موقف ترونه يخدمكم ويخدم الامة العربية وقضية وحدنها نحن معه..

بل ان هذا الموقف العربي الصميمي المستقل لاينطبق على السياسات العملية وحدها ولا تقييم الاتجاهات السياسية التي تتبناها الاقطار العربية فقط وانما ينطبق ايضا على كافة الاجتهادات الايديولوجية التي تقوم بها الانظمة العربية فليتخذ كل نظام طريقه كما يشاء بشرط ان يكون مستقلا في اختياره ومرتبطا باهداف الامة العربية وافاق نضالها.

عندما التقى برئيس وزراء اليمن الشمالية في الشهر السادس من عام 1979 عبد العزيز عبد الغني قال له بوضوح:

من الضروري ان تتسع صدورنا لاي اجتهاد ولكن ليس بصيغة اخذ التعليمات من خارج الحدود لان هذا سيكون على حساب الامة الفكر الانساني استفاد من العقيدة العربية ومن الطبيعي ان الامة العربية في مرحلة نهوضها تستفيد من تجارب العصر

وابعد من هذا فان هذا الموقف العربي الصميمي المستقل يتجسد ايضا في تصوره للعلاقة بين العرب والافريقيين ان العلاقة العربية – الافريقية يجب ان تظل علاقة عربية – افريقية لايدخلها طرف ثالث يستغلها لحسابه او يوجهها تبعا لمصالحه.

عندما التقى به الشاذلي القليبي امين عام الجامعة العربية في الشهر السابع من عام 1979 قال له صدام حسين :

لقد عرض علينا الفرنسيون فكرة اجراء حوار اوربي – عربي – افريقي..نحن نعتقد ان هذه الصيغة فضفاضة نتيجة الخلل الموجود في توازن القوى بين الاطراف الثلاثة اننا مع اجراء حوار اوربي – عربي..وحوار اوربي – افريقي..وحوار عربي –



افريقي...قلنا للفرنسيين انكم قد تفكرون بعزل السوفييت عن افريقيا ولكن هذا ليس من شأننا ولا هو دورنا وليس لنا مصلحة فيه فنحن لسنا على استعداد لان نكون شرطة دوليين نؤيد ان يكون الحوار عربيا اوربيا وان يتم الحوار ضمن اطار شمولي سياسي واقتصادي اما الاطار الشمولي في العلاقات العربية – الافريقية فانه يجب ان يرتفع عن علاقة التعامل التجاري البحت يجب ان يكون ضمن نظرة شمولية ايتراتيجية كيف يعاون العرب الافارقة على طريق التحرر.والعكس ايضا وستكون حصة العراق سخية في مجال المعونة العربية لافريقيا.

-7- معنى عدم الانحياز

ان هذا الموقف العربي الصميمي المستقل يجد تعبيره السياسي الاشمل في مفهوم صدام حسين عن (عدم الانحياز) وفي الدور الايجابي الفعال الذي يلعبه في حركة الدول غير المنحازة.

ماهو مفهوم عدم الانحياز عنده؟ انه عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاي من هذه الدول وسلوك طريق الحوار والعلاقات القائمة على الحرص على المبادئ للوصول الى نتائج افضل ووفق هذا المنهج يختار العراق سياساته واصدقاءه في العالم على اساس النظرة الشمولية بعيدة المدى وليس على اساس علاقات الصفقات الانية او النظرات الانية المجزأة عن مجمل الرؤية الشمولية لتطور العالم والعوامل المؤثرة في هذا التطور وطبيعة الصراع الدائر الان بين الامة العربية من جهة والاستعمار واعوانه وفي المقدمة منهم الكيان الصهيوني من جهة اخرى..وكذلك ضد التخلف ومن اجل الاستقلال.

ولكن كيف تواجه البلدان غير المنحازة الضغوط الخارجية عليها؟ يجيب صدام حسين ان ذلك يمكن ان يتأتى عن طريقين : اولهما : ان تتوفر العقيدة الوطنية المعبرة عن مصالح الشعب بشكل مستقل وان تكون مستوحاة من ظروف الشعب ومتجهة لحل مشاكله وان تكون هذه العقيدة منطوية على نظرة للحياة شمولية ومتطورة للانسان ولمشاكل الشعوب وللعلاقات الدولية.

ثانيهما : ان تتوفر الارادة القادرة على تحويل العقيدة الى منهج عمل بهذا الاتجاه.

غير ان صدام حسين لايغفل دور الضغوط الاقتصادية على البلدان النامية التي تمارسها الدول الكبرى والدول الصناعية المتقدمة ان الحديث عن عدم الانحياز بدون التعرض للمحتوى الاقتصادي له يصبح في كثير من الاحيان حديثا طوبائيا لقد وقف في مؤتمر القمة السادس لحركة عدم الانحياز الذي عقد في هافانا في شهر سبتمبر – ايلول 1979 ليقول بصراحة امام اسماع العالم كله :

ان العراق يؤكد الضرورة القصوى لازالة كل انواع الاستغلال او التمييز على الصعيد الاقتصادي ويدعو الى العمل الحثيث من اجل الوصول الى النظام الاقتصادي العادل...كما ان العراق يؤمن ايمانا عميقا وحاسما بحق الشعوب في السيطرة الكاملة والفعالة على ثرواتها الطبيعية بما في ذلك حقها في تاميم هذه الثروات واستثمار مواردها لصالح التنمية المستقلة لشعوبها وانهاء سيطرة الشركاة متعددة الجنسية التي تمثل الاستعمار الجديد في عملية نهب ثروات الدول النامية...كما يدعو العراق الى انشاء الاتحادات النوعية وجمعيات منتجي المواد الاولية للدول النامية وتقوية الموجود منها وذلك لغرض مواجهة الاحتكارات التابعة للدول الصناعية المتقدمة وايجاد قوة فعلية مترافقة مع الارادة السياسية لمواجهة تلك الاحتكارات كما يدعو العراق الى ايجاد الوسائل الفعالة لمكافحة اثار التضخم المصدر الى الدول النامية من قبل الدول الصناعية المتقدمة والذي يعتبر من اهم الاسباب



التي تؤثر على اقتصاديات الدول النامية تاثيرا سلبيا وتعرقل عملية التنمية الاقتصادية فيها....ولمعالجة جانب مهم من هذه المسألة فقد اقترح العراق انشاء صندوق عالمي طويل الامد لمساعدة الاقطار النامية ضد اثار التضخم على اساس ان تقوم الدول الصناعية المتقدمة بغض النظر عن نظمها السياسية والاقتصادية بالمساهمة في هذا الصندوق بمقدار التضخم الذي تصدره الى الدول النامية..كما تساهم فيه الدول النامية المصدرة للنفط ان هذا المشروع في راينا كفيل في حالة تطبيقه بحل جانب مهم واساسي من هذه الحالة الجائرة في العلاقات الاقتصادية التي تربط اقتصاديات الدول النامية باقتصاديات الدول الصناعية المتقدمة ويشكل ركنا اساسيا في تحقيق النظام الاقتصادي الدولي الجديد...

وان حكومة الجمهورية العراقية ادراكا منها لحقيقة الاوضاع الاقتصادية التي تمر بها البلدان النامية وتقديرا للعلاقات المصيرية التي تربط العراق بدول العالم الثالث قررت تعويض الدول النامية التي ترتبط حاليا مع العراق بعقود نفطية مباشرة عن اية علاوات تضاف الى الاسعار الرسمية للنفط العراقي من 1-6-1979 والى نهاية هذا العام وذلك بواسطة تقديم قروض طويلة الاجل وبدون فوائد الى هذه الاقطار تعادل مبلغ العلاوات التي تضاف الى اسعار النفط وعلى امل الوصول الى بداية حل جدي وعادل لهذا الموضوع..

*****

هوذا العالم الثالث اذن يجد صوته اخيرا بعد ان ظن ابناؤه انهم فقدوه عندما اختطف الموت حياة قادتهم العظماء...الراحلين

هوذا صوت العالم الثالث يعود مرة اخرى ويتصاعد في اركان العالم من اعماق ذلك الشاب الفارع الطول القادم من الشرق من ضمير امة عظيمة قدمت للانسانية كل من عرفتهم من الرسل والانبياء وعرفت ذات يوم عدالة عمر بن الخطاب وتذوقت المبدئية في سلوك علي بن ابي طالب.

هوذا العالم الثالث يسترد وجهه المناضل نفسه في أهاب هذا الفارس الذي لم يتعد الثالثة والاربعين ويتكلم بعمق ويناقش بحكمة ويسلك بشموخ وكأن تيتو قد اودعه خبرته ونهرو قد خلف له عقلانيته وجمال عبد الناصر قد اورثه حماسته العربية وجاذبيته القيادية وشبابه الشامخ.

غير ان صدام حسين بفضل ذلك كله ورغم ذلك كله يظل دائما...هو نفسه...تعبيرا اصيلا عن لحظة تاريخية جديدة تشهد مولد طور جديد من اطوار امة عريقة تسعى بفكرها القومي والتقدمي والانساني وبعطائها السخي في التضحية والنضال الى ان تتخطة كل تناقضاتها الصعبة والمعقدة والمتشابكة وتتجاوز في مستقبلها كل امجاد ماضيها.

أمير إسكندر

1980



